آفاق الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد السادس ديسمبر ٢٠٠٩م (طبع في يونيو ٢٠١٠م) (ص ٢٧-٤٢)

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين المؤيدين والمعارضين

محمد غياث الدين تعلقدار*

ب . م . مفيض الرحمن**

الملخص : قد كثر الحديث في العصر الراهن حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. نظرا للتطورات الهائلة السريعة التي حدثت في مجال الاكتشافات العلمية المختلفة. وهذا في حد ذاته شيئ إيجابي ومشجع ؛ لأن القرآن يخاطب العقول البشرية. باعتبارها تحتوي على قوات كامنة ، صالحة للتفجير. إذا ما أحسن إليها الناس باستخدامها على النحو الصحيح الذي يتطلبه المفاهيم الإسلامية الأصيلة. فالإسلام دين يفتح أبوابه لكل جديد. خاصة ما يتعلق منه بالبحوثات العلمية التي يكون لها دور حيوي في توجيه مسيرات الحياة العصرية . مادام هو لا يخرج عن الإطار المحدد بالنصوص الصحيحة. فمع هذا القدر من الاتفاق بين العلماء فإنهم اختلفوا فيما إذا كان الحديث عن الإعجاز العلمي داخلا في هذا الإطار المسموح أم لا؟ وإذا كان داخلا ، فهل يكون مطلقا أم يجب أن يكون مقيدا بشروط معينة؟ ومن ثم تتبلور أهمية موضوع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. وفي خلال هذه المقالة العلمية حاولنا بكل ما أتيح لنا من الإمكانيات أن نلقي الأضواء على مواقف العلماء قديما وحديثا من هذه القضية الحساسة . لنستطيع أن نصل في النهاية إلى نتيجة معقولة ، تتطمئن لها النفوس عن طريق الدراسة التحليلية والقيام بفحص دقيق بما استند إليه أصحاب الاتجاهات المختلفة في تبرير مواقفهم. بالحيادة وعدم التحيز. والله ولي التوفيق.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد :

فقد امتازت معجزة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبرى (القرآن الكريم) بكثير من المعجزات التي افتقدتها الكتب السماوية السابقة ، ومنها :

---

* - الأستاذ المساعد السابق ، بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

** - محاضر للدراسات الإسلامية ، بمركز مواد متطلبات الجامعة ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

- أن هذه الكتب السابقة إنما نزلت كي تخاطب عقولا معينة لها فكر معين وثقافة محددة، ومن هنا جاءت نصوصها محدودة لا تصلح إلا لأهل الزمان الذي نزلت فيه هذه الكتب.

بينما نزل القرآن الكريم لكي يخاطب العقل الإنساني أيا كان زمانه، وأيا كان مكانه. ومن هنا امتازت نصوصه بعطائها الذي لا حدود له. يأخذ منها أهل كل عصر ما يناسب حياتهم. فهي نصوص كلية صالحة للانطباق على جزئيات كثيرة. وفي الوقت نفسه يخاطب القرآن الكريم الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة للحقائق العلمية . فيفهمون نصوص الآيات بقدر ما يتيسر لهم من العلم في كل زمان.

- ومن هنا امتاز القرآن الكريم على هذه الكتب أيضا بالإعجاز العلمي. ففي عصر العلم والنظريات العلمية وجد المؤمنون من العلماء التجريبيين في القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي أثبتت نظريا ت علمية لم يعرفها العلماء إلا في هذا العصر.

ومن هنا كان اهتمام العلماء المسلمين بإبراز الجانب العلمي في القرآن الكريم ، لكي يثبتوا من جديد: أن القرآن الكريم كتاب لكل عصر.ولكل مكان. وليس معنى هذا: أن التفسيرات العلمية للقرآن الكريم وليدة القرن العشرين فقط. فقد سبق أن نبه عليها بعض المفسرين القدامى ، ومنهم الرازي. حيث أشار إلى كثير من النظريات الفلكية من خلال تفسيره للقرآن الكريم. إلا أن العلماء المسلمين لهم مواقف متباينة في هذه القضية ، وهذا ما سوف نتعرض لها ـ إن شاء الله ـ في هذه المقالة المتواضعة. وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

المبحث الثاني: أهمية أبحاث الإعجاز العلمي

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين

المبحث الرابع: ضوابط البحث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المبحث الأول : مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

تعريف الإعجاز: الإعجاز مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة.

والإعجاز مصدر أعجز: وهو بمعنى الفوت والسبق[1].

والمعجزة في اصطلاح العلماء : أمر خارق للعادة. مقرون بالتحدي. سالم من المعارضة[٢].

وإعجاز القرآن: يقصد به: إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

تعريف العلم: وصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم.

والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها . أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما[٣].

والمقصود بالعلم في هذا المقام : العلم التجريبي. وعليه فيعرف الإعجاز العلمي بما يلي:

تعريف الإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي. وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

و هذا مما يظهر صدق الرسول فيما أخبر به عن ربه سبحانه.

لكل رسول معجزة تناسب قومه ومدة رسالته: ولما كان الرسل قبل محمد- صلى الله عليه وسلم- يبعثون إلى أقوامهم خاصة. ولأزمنة محدودة. فقد أيدهم الله ببينات حسية مثل: عصا موسى ـ عليه السلام ـ . وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى ـ عليه السلام ـ . وتستمر هذه البينات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول. فإذا حرف الناس دين الله بعث الله رسولا آخر بالدين الذي يرضاه. وبمعجزة جديدة. وبينة مشاهدة.

المعجزة العلمية تناسب الرسالة الخاتمة والمستويات البشرية المختلفة: ولما ختم الله النبوة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضمن له حفظ دينه. وأيده ببينة كبرى تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة. قال تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ)(سورة الأنعام. الآية ١٩). ومن ذلك ما يتصل بالمعجزة العلمية.

وقال تعالى: (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ)(سورة النساء. الآية ١٦٦). وفي هذه الآية. التي نزلت ردا على تكذيب الكافرين. بنبوة محمد- صلى الله عليه وسلم-[٤] بيان لطبيعة المعجزة العلمية. التي تبقى بين يدي الناس. وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم. والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي.

المبحث الثاني : أهمية أبحاث الإعجاز العلمي

تتضح أهمية أبحاث الإعجاز العلمي في النقاط الآتية :

١- تجديد بينة الرسالة في عصر الكشوف العلمية :

إذا كان المعاصر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد شاهدوا بأعينهم كثيرا من المعجزات، فإن الله أرى أهل هذا العصر، معجزة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - تتناسب مع عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البينة المعجزة هي: بينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء مثل إذعانهم للعلم، وبيناته ودلائله، على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم، وأبحاث الإعجاز كفيلة بإذن الله بتقديم أوضح الحجج، وأقوى البينات العلمية.

٢- تصحيح مسار العلم التجريبي في العالم :

لقد جعل الله النظر في المخلوقات ـ الذي تقوم عليه العلوم التجريبية ـ طريقا إلى الإيمان به، وطريقا إلى الإيمان برسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولكن أهل الأديان المحرفة كذبوا حقائقه، وسفهوا طرقه، واضطهدوا دعاته، فواجههم حملة هذه العلوم التجريبية بإعلان الحرب على تلك الأديان، فكشفوا ما فيها من أباطيل، وأصبحت البشرية في متاهة، تبحث عن الدين الحق، يدعوا إلى العلم، والعلم يدعو إليه، وإن بإمكان المسلمين تصحيح مسار العلم في العالم، ووضعه في مكانه الصحيح، طريقا على الإيمان بالله ورسوله.

٣- تنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية، بدافع من الحوافز الإيمانية :

إن التفكر في مخلوقات الله عبادة، والتفكر في معاني الآيات والأحاديث عبادة ، وهذا كله متحقق في أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذا من شانه أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون، بدوافع إيمانية، لعلها تعبر بهم فترة التخلف، التي عاشوها فترة من الزمن في هذه المجالات.

٤- زيادة الإيمان :

أنه يزيد المؤمن بأن هذا الكتاب من عند الله، فنحن نؤمن بإعجاز القرآن الكريم البياني والبلاغي والغيبي، ولكن حين نكشف أن للقرآن إعجازا علميا يواكب العصر نزداد إيمانا بأن

هذا الكتاب من عند الله. وتمتلئ النفوس بعظمة الله ومكانة هذا الكتاب الذي احتوى على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون.

المبحث الثالث : الإعجاز العلمي بين المؤيدين والمعارضين

أثار موضوع إبراز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كثيرا من الجدل والأخذ والرد. فقد عارضه بعض العلماء والباحثين والغيوريين على القرآن . ومنهم: الشاطبي[٥]. و أبو حيان الأندلسي[٦] من المتقدمين.وكذلك محمود شلتوت. محمد حسين الذهبي، عباس العقاد، سيد قطب وغيرهم من المعاصرين.

- يقول الأستاذ /محمود شلتوت:

" وحسبنا أن القرآن لم يصادم — ولن يصادم — حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول".[٧]

- يقول عباس العقاد:

> " تتجدد العلوم الإنسانية مع الزمن على سنة التقدم. فلا تزال بين ناقص يتم وغامض يتضح. وموزع يتجمع. وخطأ يقترب من الصواب. وتخمين يترقى إلى اليقين . ولا ينذر في القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ أو تتزعزع بعد ثبوت. . ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون. فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم..."[٨]

- ويقول سيد قطب:

> "إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها. . لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها. . والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان. والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه. بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره. .. ، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه...".

وهناك فريق آخر عالج المسألة بتعقل ، فلم يرفض التفسير العلمي مرة واحدة، ولم يؤيده كذلك على إطلاقه.وإنما وضع للمسألة قيودا وقواعد . ومن هؤلاء: الإمام الغزالي[٩] والفخر الرازي [١٠]و الزركشي[١١] و السيوطي[١٢]وغيرهم من السابقين. وكذلك الجواهري[١٣]. والإسكندراني [١٤]. والكواكبي [١٥]. ومحمد رشيد رضا[١٦] . ومصطفي صادق الرافعي[١٧]. ومحمد متولي الشعراوي[١٨]. والدكتور محمد عبد الله دراز. محمد أحمد الغمراوي[١٩] وغيرهم من المعاصرين.

- يقول الإمام الغزالي:

"وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته . وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته. وهذه العلوم لا نهاية لها. وفي القرآن إشارة إلى مجامعها.. "[٢٠]

- والإمام الزركشي قد عقد فصلا خاصا عنونه بقوله : "في القرآن علم الأولين والآخرين" وقال فيه: " وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى..."[٢١]

- يقول السيوطي:

"وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء. **أما أنواع العلوم فليس منها** باب و مسالة هي اصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها. وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى ....إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات.[٢٢]

- يقول الجواهري :

"لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية. فلماذا اثر التأليف في علم الفقه، وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة بل هي تبلغ ٧٥٠ آية صريحة؟! وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة ويجهلون علما آياته كثيرة جداً. إن آباءنا برعوا في الفقه، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات لنقم به لترقى الأمة.[٢٣]

- رأي محمد رشيد رضا:

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيعد هذا نوعاً من أنواع الإعجاز للقرآن فيقول: "الوجه السابع اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر

نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ الشر وسنن الله في الخلق"[٢٤] ثم ذكر الأمثلة لذلك.

- رأي الدكتور محمد عبد الله دراز:

قال الدكتور دارز في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم تحت عنوان حقائق علمية: " ولكن القرآن في دعوة إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة" ...ثم ذكر رحمه الله تعالى – أمثلة لذلك.

أدلة الفريقين:

ادلة المؤيدين للإعجاز العلمي

استدل المؤيدون للتفسير العلمي بأدلة كثيرة منها[٢٥]

١ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات:

كقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (سورة الأنعام : الآية ٣٧) . وقوله سبحانه: (ونزّلنا عليك الكتب تبيانا لكل شيء) (سورة النحل : الآية ٨٩.) وقوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينها وما لها من فروج) (سورة ق : الآية: ٦). وقوله سبحانه: (سنريهم ءايتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (سورة فصلت: الآية ٥٢.) وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

٢ـ الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار:

كحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ستكون فتن قيل: وما المخرج منها؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. الحديث[٢٦].

وما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين.[٢٧]

٣- الاستدلال بالأدلة العقلية:

أ ـ إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض. وتعاقب الليل والنهار. وكيفية أحوال الضياء والظلام. وأحوال الشمس والقمر والنجوم. وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى. فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزاً لما ملأ الله كتابه منها[٢٨].

ب ـ أن العلم الحديث قد يكون ضرورياً لفهم بعض المعاني القرآنية. وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهما دقيقا متوقفاً على تقدم بعض العلوم. فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى. فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية.

جـ ـ تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي. منها[٢٩]:

أ – إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب– استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي. وإقامة الحجة عليهم بذلك.

جـ ـ امتلاء النفوس إيماناً بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن.

أدلة المعارضين للإعجاز العلمي:

واستدل المعارضون للتفسير العلمي بأدلة. منها:

١– إن للتفسير شروطاً وقيوداً قررها العلماء ينبغي الالتزام بها ، فلا يكون تفسير القرآن مباحاً لكل من حصل علماً من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لابد منها للمفسر. ومن ذلك: عدم تحميل ألفاظ القرآن معاني وإطلاقات لم توضع لها ولم تستعمل فيها.

٢– أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد. وليس بكتاب تفصيل لمسائل العلوم ونظرياته ودقائق الاكتشافات والمعارف. ومن طلب ذلك من القرآن فقد أساء فهم طبيعة هذا القرآن ووظيفته.

٣- أن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين، لأن عملية التوفيق تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء.

٤- أن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآنيـة، ؛ لأنه يحس بضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة، فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع.

٥- أن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائماً للتغيير والتبديل و التعديل، والنقض. بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب. ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية.

الرأي المختار:

أن الحق فيما نري وسط بين مذهبين، فلا رفض ولا إنكار للتفسير العلمي يمنع من:

١. إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية إثبات التوافق بين حقائقه النهائية القاطعة وبين ما يثبت من الحقائق العلمية التي لا يقبل ثبوتها أي نوع من الشك.

٢. دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين الدين والعلم.

٣. استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق ببيان إعجازه العلمي لهم.

٤. الحث على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه.

٥. امتلاء النفس إيماناً بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون[٣٠] ، وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابتة وصامدة تتكسر تحت أقدامها النظريات العلمية وتعانقها بسلام الحقائق العلمية.

لا رفض يمنع هذا، ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي، لأن:

١. إعجاز القرآن ثابت وهو غني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذي قد يذهب بالإعجاز، وهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم[٣١]

٢. أن الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون هي دعوة لعامة الناس وخاصتهم إلى موضع العبرة والعظمة ليهتدي الناس بها إلى خالقها وموجدها وليس إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣. أنه مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لأن عملية التوفيق تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء، أعني أنه لا ينبغي أن يحالف النجاح بصورة حتمية كل عملية من عمليات التوفيق.[٣٢]

٤. أن تناول القرآن بهذا المنهج وبذلك المدى يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني الكريم. لأنه يحس بضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أن كثيرا من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر كلها دفعه واحدة، بل تتكشف يوما بعد يوم وحينئذ يكون التعجل في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع[٣٣]

٥. أن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض ، كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدراً أكبر من الظواهر. أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق، ومن ثم فهي قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص ، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة[٣٤] ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية.

أقول لا رفض للتفسير العلمي مطلقاً ولا تأييد وتسليم له مطلقين، بل جمع بين حقيقتين حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الثلث. وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين. ومن هنا كان المسلمون كلهم متفقين كما أسلفنا على أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية. وإنما يقع التصادم عندما ندعي حقيقة علمية في الكون ، وهي ليست حقيقة علمية، أو ندعي حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة القرآن[٣٥].

المبحث الرابع: ضوابط البحث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إن للمباحث العلمية ضوابط عديدة وقواعد محددة. منها:

١- القرآن كتاب هداية:

إن القرآن الكريم كتاب هداية ، هداية الناس إلى بارئهم للقيام بالدور الذي أوكل إليهم في خلافة الأرض ولأداء المهمة التي خلقوا لأجلها :(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(سورة الذاريات: ٥٦-٥٨). وقد سلك القرآن الكريم جميع الأساليب والمسالك العقلية والفطرية لحمل الإنسان على هذا الهدف. فلفت الأنظار من أجل ذلك إلى الكون المحيط بأفلاكه وكواكبه وليله ونهاره وسهوله وجباله وبخاره وأنهاره وسحبه وأمطاره ونباته وأشجاره . ولفت النظر كذلك إلى أعماق النفس الإنسانية بعواطفها ومشاعرها وطاقاتها وقدراته وإمكانات جوارحها. وارتفاعها أو إخلادها إلى الأرض. وشد الانتباه إلى ما يحيط بالإنسان مما هو مسخر له لخدمته وتيسير المشقات عليه من الحيوان والنبات والجماد... فينبغي أن تبقى الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية في حدود هذا الغرض، ولا تؤثر على الهدف الأساسي للقرآن الكريم.

٢- ترك الإفراط والتفريط:

أي عدم التفريط في البحث في الآيات الكونية . وبشرط التقيد بالمنهج القرآني وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمل، فلا ينبغي أن تهمل التوجيهات بصدد ما في الكون المسخر لمصلحة الإنسان، فإن أهملنا فقد فرطنا في مئات الآيات التي تشدنا إليها. فنفصل القول في ذلك ونجعل تفاسير القرآن وكأنها كتب لهذه العلوم المختصة. و ذلك يخرجنا من الهدف الأساسي . وهو أن القرآن الكريم كتاب هداية. وأن تفاسيرنا ينبغي أن تكون لشرح وبيان الأساليب المستخدمة لتحقيق هذه الهداية.

٣- مرونة الأسلوب القرآني:

الأسلوب القرآني في الآيات مرن يقبل وجوها في التأويل، فينبغي أن يكون معلوما لدينا أن القرآن الكريم عندما يعرض القضايا الكونية أو الجوانب المادية أو المعنوية في الإنسان أو ما يحيط به، يستعمل أسلوبا مرنا يقبل وجوها للتأويل. فعند إرادة فهم الكلمة القرآنية أو العبارة القرآنية لا بد من الرجوع إلى دلالات الكلمة الحقيقية والمجازية، واستعمالاتها في اللغة العربية، لتكون المعاني التي تحتملها الكلمة واضحة في الذهن عند الإقدام على تفسيرها في المجال.

٤- الحقائق العلمية مناط الاستدلال:

الاقتصار على الحقائق العلمية في صدد تفسير الآيات بأن نبعد عن ساحة الفرضيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية، وينبغي عدم ذكر النظريات ولو من باب الاستئناس بها. لأن ربط نظرية قابلة للتغير والإبطال بتفسير آية قرآنية يورث شعورا معينا لدى القراء. وفي حال ظهور بطلان هذه النظرية فلن يسلم الفهم الخاص بالآية من تشويش واهتزاز، وكلام الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يطرأ عليه مثل ذلك.

٥- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة:

عند إحاطتنا بدلالات الكلمة اللغوية الحقيقية والمجازية واستعمالات العرب لها، إن وجدنا أ حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات. لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالات الأخرى للكلمة من جهة. وأن لا نحصر معنى الآية على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى. فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة إحى وجوه دلالات الآية. وظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى.

٦- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية:

يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية لأنهما من مشكاة واحدة. وينبغي أن يكون من المسلمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأي جانب من جوانب الكون أن الإنسان والحيوان والنبات- إذا كانت قطيعة الدلالة- لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل الجهد البشري إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية.

٧- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة:

من البر والحكمة سلوك سبل الأسباب للوصول إلى حقائق المعرفة "دخول البيوت من أبوابها" وعدم تعجل النتائج بأن نعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها وان خير مفسر للقرآن الزمن، وأن نضع نصب أعيننا قوله تعالى: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) (سورة البقرة: ١٨٩). فإنه التوجيه القرآني لسلوك المنهج الذي ينبغي أن يسلك في هذه المجالات.

خاتمة البحث

وفي الختام نود أن نسجل بعض الملاحظات الهامة التي تتمخض من خلال هذه الدراسة:

١. لما كانت المعجزة قرينة الرسالة ولما كان القرآن الكريم معجزة الرسالة الخالدة فلا بد من أن تقام الحجة بالقرآن الكريم ، على كل جيل من الأجيال. ليذعن أهل الإنكار والجحود في كل عصر لعظمة منزله ويوقنوا في قرارة نفوسهم أنه كلام الذي أحاط بكل شيء علما. الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

٢. وكلما تتقدم الوسائل العلمية وتتوسع دائرة المعارف البشرية كلما تفتح آفاق جديدة أمام الباحثين في إعجاز القرآن الكريم .

٣. بلغت اللفتات العلمية في القرآن الكريم من السعة والشمول مبلغا لا تستطيع الأجيال من العلماء الإحاطة مهما أوتوا من الوسائل والإمكانات والجهود والطاقات .

٤. وعلى أهل الاختصاص من علماء المسلمين :أن يعايشوا القرآن المجيد، ويستنطقوا آياته لكشف الأستار عن الإشارات القرآنية ، وتلميحاته عن الحقائق المودعة في مخلوقات الله. لتكون أبحاثهم ونتاج جهودهم وسيلة إلى تحقيق وعد الله سبحانه وتعالى :"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ".

٥. إن البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى ماهيتها وأسرارها ، فهل يعقل أن يكون هذا القرآن من عند رجل أمي ، عاش في بيئة أمية . لم يذكر التاريخ عن أسلافها تقدما في فنون علوم الكون وبالنفس البشرية.

٦. من المستحيل أن يحدث أي نوع من التصادم بين العلوم القرآنية والعلوم التجريبية الحديثة، كما يزعم ذلك بعض من أهل الجهل بالعلوم الإسلامية ،لأن الحقائق لا يناقض بعضها بعضا.

٧. إن القرآن نفسه يصرح بأن قسما من حقائقه ستظهر بعد زمن التنزيل ،مصداقا لقوله تعالى: "ولتعلمن نبأه بعد حين".

٨. القرآن الكريم لا يتجه بالخطاب إلى جيل معين ومكان معين ، وإنما إلى يخاطب البشرية قاطبة ، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

٩. اشتمل القرآن الكريم على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله.ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر. وسنن الله في الخلق .

١٠. لاشك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة، ولكن معانيه تطابق الحقائق. وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكان الآية لها تعلق بذلك. فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام لبشر، وبمقدار ما ستبلغ إليه.

١١. إن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم ا لدعوة .وهو معجزة باقية، فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.

١٢. إن القرآن الكريم كلام الله تعالى .وكلامه تعالى جاء من العلم الإلهي ن الذي يحيط بكل شيء علما. ولذا السبب كانت معاني كلام الله واسعة بدرجة لا يقاس بها كلام البشر الذي يستند إلى علم محدود.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم،وأن يحقق ما أردته من إبراز عظمة القرآن الكريم المتمثلة في إعجازه بأشكال وصور متنوعة ،إنه على كل شيء قدير.

المراجع والمصادر :

١- يراجع : ابن منظور: *لسان العرب*،(بيروت، دار الصادر-)١٩٦٨. (مادة: عجز) .

٢ القرطبي: *الجامع لأحكام القرآن*. (القاهرة . دار الكتاب العربي- ١٩٦٧م). ١/٩٦. العسقلاني، ابن حجر: **فتح الباري**، (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ). ٦/٥٨١.

٣- الراغب الاصفهاني، ا لحسين. *المفردات في غريب القرآن*. (دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ). صـ ٣٤٣. الشوكاني: *إرشاد الفحول* ، (بيروت . دار الفكر، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م). صـ ٤.

٤- الطبري: محمد بن جرير: *جامع البيان في تفسير القرآن*،(دار ا لمعرفة، بيروت ، ط٤، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠)م، د/٢٢. ابن كثير، إسماعيل: *تفسير القرآن العظيم*. (بيروت . دار المعرفة.— ١٩٨٢م). ١/٥٩٠.

٥- الشاطبي، إبراهيم: *الموافقات في أصول الأحكام*، (القاهرة . مكتبة محمد على صبيح، ، د. ت) . ج٢، ص ٧٩-٨٠.

٦- أبو الحيان الأندلسي، محمد: *البحر المحيط*. (مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د. ت)، ج١، ص٣٤١.

٧- محمود شلتوت: *تفسير القرآن الكريم*. (بدون بيانات)، ص: ١١ و ١٣ و ١٤.

٨- عباس محمود العقاد: *الفلسفة القرآنية*، (بدون بيانات)، ، ص١٥.

٩- ابن تيمية: *مجمع الفتاوى*، (الرياض، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، بدون ناشر)، ج١٣، صـ ٢٣١-٢٣٢

١٠- الرازي، فخرالدين: *التفسير الكبير*، (بيروت، دار الفكر-١٩٩٧م)، ج١٤، صـ ١٢١

١١- الزركشي، بدر الدين: *البرهان في علوم القرآن*، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية)، ج٢، ص١٨١

١٢- المرجع السابق: ج٢، صـ ١٢٩

١٣- المرجع السابق: ج٢٥ ص٥٥ ـ٥٦.

١٤- محمد الإسكندراني: *كشف الأشرار النورانية*، بدون بيانات، ج١، ص٣.

١٥- عبد الرحمن الكواكبي: *طبائع الاستبداد*، بدون بيانات، ص٤٤.

١٦- رضا، محمد رشيد: *تفسير المنار*، (بيروت، دار الفكر - ١٣٢٥هـ)، ج١، ص٢١٠.

١٧- محمد جمال الدين القاسمي: *محاسن التأويل*، بدون بيانات، ج١، ص٣٣٧.

١٨- محمد متولي الشعراوي: *معجزة القرآن*، (القاهرة، مكتبة وهبة، بدون تاريخ)، ص٣٨-٣٩.

١٩- الغمراوي، محمد احمد: *الإسلام في عصر العلم*، (القاهرة، دار الإنسان - ١٩٩١م)، ص ٢٥٧-٢٥٩.

٢٠- الإمام الغزالي: *إحياء علوم الدين*، (القاهرة، مكتبة البابي الحنبي، بدون تاريخ)، ج١، صـ ٢٩٦

٢١- الزركشي، بدر الدين، المرجع السابق، ج٢، ص١٨١

٢٢- المرجع السابق: ج٢، صـ ١٢٩

٢٣ - المرجع السابق: ج٢٥ ص٥٥ ـ٥٦.

٢٤- محمد رشيد رضا: *تفسير المنار*، ج١، ص٢١٠.

٢٥- نقلت هذه الأدلة بتصرف من بحث (*التفسير بمكتشفات العلم التجريبي*) للدكتور محمد الشايع مجلة افهام، العدد الرابع ١٤١١هـ، ص: ٣٧-٤٠.

٢٦- الترمذي: *السنن*، (دار الفكر، بيروت- ١٩٩٥م)، ج٥ ص: ١٧٢، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وإسناده مجهول وفي الحارث مقال وتعقبه ابن كثير في فضائل القرآن: ص: ١١، فقال: ... بل قد رواه محمد ابن

إسحق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور.. ثم قال .. وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود.

٢٧- السيوطي: *الإتقان* . بيروت. المكتبة الثقافية. ١٩٧٣ م) . ج٢. ص:١٢٦.

٢٨- الرازي. الفخر: *التفسير الكبير*. (*دار الكتب العلمية* . د. ت): ج٤. ص:١٢١.

٢٩- الرومي. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان : *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*. (بيروت. مؤسسة الرسالة- ١٤١٤هـ) ج ٢. ص ٦٠٢.

٣٠- عبد العظيم الزرقاني: *مناهل العرفان في علوم القرآن* . (دار الكتب العلمية. بيروت - ١٩٨١م). ج١. ص٥٦٨ - ٥٦٩

٣١- محمد حسين الذهبي: *التفسير والمفسرون* . بدون بيانات ج٢. ص ١٥٩.

٣٢- صبحي الصالح. *معالم الشريعة الإسلامية* . بدون بيانات ص٢٩٠.

٣٣- عفت الشرقاوي: *الفكر الديني في مواجهة العصر* . بدون بيانات. ص ٤٤٣.

٣٤- سيد قطب. *في ظلال القرآن* . (بيروت. دار الشروق. ١٩٩٢م) . ج٢. ص٩٧.

٣٥- محمد متولي الشعراوي: *معجزة القرآن* . ص٤٧.